تدبر القرآن

السؤال : كيف يمكننا أن نتدبر القرآن ؟ وهل للقلوب أقفال تمنع من التدبر ؟

الجواب : إن الحق يريد أن يعطى الإنسان دربة حتى لا يأخذ المسائل برتابة بليدة ويتناولها تناول الخامل ويأخذها من الطريق الأسهل ، بل عليه أن يستقبلها باستقبالٍ واع وبفكر وتدبر . ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد : ٢٤] .

كل ذلك حتى يأخذ العقل القدر الكافى من النشاط ليستقبل العقل العقائد بما يريده اللّه ، ويستقبل الأحكام بما يريده اللّه ، فيريد منك فى العقائد أن تؤمن ، وفى الأحكام أن تفعل ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] . والذين فى قلوبهم زيغ يحاولون التأويل وتحكمهم أهواؤهم ، فلا يصلون إلى الحقيقة . والتأويل الحقيقى لا يعلمه إلا اللّه .

قد رأينا من يريد أن يعيب على واحد بعض تصرفاته فقال له : يا أخى أتدّعى أنك أحطت بكل علم اللّه ؟ فقال له : لا . قال له : أنا من الذى لا تعلم . وكأنه يرجوه أن ينصرف عنه[1] .

---

(١) قال القرطبي فى تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ والتدبير أن يدبر الإنسان أمره كأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته . ودلت هذه الآية وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ على وجوب التدبر فى القرآن ليعرف معناه . فكان فى هذا رد على فساد قول من قال : لا يؤخذ من تفسيره إلا ما ثبت عن النبى صلى اللّه عليه وسلم ، ومنع أن يتأول على ما يسوغه لسان العرب . وفيه دليل على الأمر بالنظر والاستدلال وإبطال التقليد ، وفيه دليل على إثبات القياس .
وقال فى موضع آخر : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أى : يتفهمونه فيعلمون ما أعد اللّه للذين لم يتولوا عن الإسلام . ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ أى : بل على قلوبهم أقفال أقفلها اللّه عز وجل عليهم فهم لا يعقلون . وهذا يرد على القدرية والإمامية مذهبهم .
=

= وفي حديث مرفوع أن النبى صلى اللّه عليه وسلم قال : « إن عليها أقفالا كأقفال الحديد حتى يكون اللّه يفتحها » .

وأصل القفل اليبس والصلابة . ويقال لما يبس من الشجر : القفل . والقفيل مثله . والقفيل أيضا نبت . والقفيل : الصوت .

قال الراجز :

لما أتاك يابسا قرشبا
قمت إليه بالقفيل ضربا
كيف قريت شيخك الأزبا

القِرْشَبُّ « بكسر القاف » المسن ، عن الأصمعى . وأقفله الصوم أي أيبسه ، قاله القشيري والجوهرى . فالأقفال ها هنا إشارة إلى ارتجاج القلب وخلوه عن الإيمان .

أي لا يدخل قلوبهم الإيمان ولا يخرج منها الكفر ، لأن اللّه تعالى طبع على قلوبهم وقال : ﴿ عَلَىٰ قُلُوبٍ ﴾ لأنه لو قال على قلوبهم لم يدخل قلب غيرهم فى هذه الجملة . والمراد أم على قلوب هؤلاء وقلوب من كانوا بهذه الصفة أقفالها .

obeikandl.com

لا يسخر قوم من قوم

السؤال : ما التأديب الرباني فى قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ ؟

الجواب : اللَّه سبحانه وتعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحجرات : ١١] .

إن مجموع كل إنسان ، يساوى مجموع كل إنسان آخر ، وذلك هو عدل اللَّه ، فإذا كنت أحسن من إنسان فى شىء فابحث عن النقص فيك . فإن استهزأت بمؤمن فى شىء ، فالاستهزاء غير مفصول عن صنعة اللَّه .

إذن .. فمن المنطق عندما قالوا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة : ١٤] أن يرد اللَّه عليهم بقوله : ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة : ١٥]

أى : يزيدهم فى هذا الطغيان ، لأن المد هو أن تزيد الشىء ، ولكن مرة تزيد فى الشىء من ذاته ، ومرة تزيد عليه من غيره ، قد تأتى بخيط وتفرده إلى آخره ، وقد تصله بخيط آخر ، فتكون مددته من غيره ، فاللَّه يزيدهم فى طغيانهم .

وقوله تعالى : ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ العمه يختلف عن العمى، والخلاف فى الحرف الأخير ، العمى عمى البصر ، والعمه عمى البصيرة ، و ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ أى : يتخبطون ، لأن العمه ينشأ عنه التخبط سواء التخبط الحسى من عمى البصر ، أو التخبط فى القيم ومنهج الحياة من عمى البصيرة . واللَّه تعالى يقول : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] فكأنما العمى المادى ، قد لا يكون ، ولكن يكون هناك عمى البصيرة ، واقرأ قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه] .

obeikandl.com

فكأن عمى البصيرة فى الدنيا ، يعمى بصر الإنسان ، عن رؤية آيات اللّه فى كونه ، ويعميه عن الإيمان والمنهج[١] .

(١) قال القرطبى ، قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ قيل عند اللّه . وقيل : ﴿ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ أى : معتقدا وأسلم باطنا .
والسخرية الاستهزاء . سخرت منه أسخر سخرا « بالتحريك » ومسخرا وسخرا « بالضم » وحكى أبو زيد سخرت به ، وهو أردأ اللغتين .
وقال الأخفش : سخرت منه وسخرت به ، وضحكت منه وضحكت به ، وهزئت منه وهزئت به ، كل يقال . والاسم السخرية والسخرى ، وقرئ بهما قوله تعالى : ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا ﴾ [الزخرف : ٣٢] . وفلان سخرة ، يتسخر فى العمل . يقال : خادم سخرة . ورجل سخرة أيضا يسخر منه . وسخرة (بفتح الخاء) يسخرمن الناس .
وقال ابن زيد ، فى قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ ﴾ قال : ربما عثر على المرء عند خطيئته عسى أن يكونوا خيرا منهم ، وإن كان ظهر على عثرته هذه ، وسترت أنت على عثرتك ، لعل هذه التى ظهرت خير له فى الآخرة عند اللّه ، وهذه التى سترت أنت عليها شر لك ، ما يدريك لعله ما يغفر لك ؛ قال : فنهي الرجل عن ذلك ، فقال : ﴿ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ وقال فى النساء مثل ذلك .
وقال ابن جريرالطبري والصواب من القول فى ذلك عندي أن يقال : إن اللّه عم بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية ، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره ، ولا لذنب ركبه ، ولا لغير ذلك .

obeikandl.com

كروية الأرض

السؤال : **هل قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ [ق : ٧] دليل على كروية الأرض ؟**

الجواب : القرآن لم ينزل معجزة لفترة محدودة ، بل هو معجزة حتى قيام الساعة . . والقرآن هو كلام اللَّه ، والكون هو خلق اللَّه ، ولذلك جاء القرآن يعطى إعجازًا لكل جيل فيما نبغوا فيه ، إذا أخذنا العلوم الحديثة التى اكتشفت فى القرن العشرين وأصبحت حقائق علمية ، نجد أن القرآن الكريم قد أشار إليها بإعجاز مذهل ، حيث إنَّ اللفظ لا يتصادم مع العقول وقت نزول القرآن ، ولا يتصادم معها بعد تقدم العلم واكتشاف آيات اللَّه فى الأرض ، ولا يقدر على هذا الإعجاز المذهل إلا اللَّه سبحانه وتعالى .

اقرأ مثلاً قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ والمد معناه البسط . . وعندما نزل القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ لم يكن هذا يمثل مشكلة للعقول التى عاصرها نزول القرآن الكريم . فالناس ترى أن الأرض ممدودة ، والقرآن الكريم يقول : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ ، وتقدم العلم وعرف الناس أن الأرض كروية ، وانطلق الإنسان إلى الفضاء ورأى الأرض على هيئة كرة ، هنا أحست بعض العقول بأن هناك تصادما بين القرآن الكريم والعلم !

نقول لهم : أقال اللَّه سبحانه وتعالى أى أرض تلك المبسوطة أو الممدودة ؟ لم يقل ولكنه قال الأرض على إطلاقها ، أي كل مكان على الأرض ترى فيه الأرض أمامك مبسوطة .

إذا نزلت القطب الشمالى تراها مبسوطة ، وإذا كنت فى القطب الجنوبى تراها مبسوطة . ولا يمكن أن يحدث هذا أبدًا إلا إذا كانت الأرض كروية .

obeikandl.com

مناطق الحس فى الإنسان

السؤال : **ما هي مناطق الحس فى الإنسان وما معنى قوله تعالى : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق : ٢٢] ؟**

الجـــواب : إن العمى يكون ساعة البعث ، وبعد ذلك يعودون إلى توازنهم ليروا ألوان العذاب . ولذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] فالمهم إذلال فى العمى ليعطى حيرة ساعة البعث ، وإذلال فى الرؤية ليرى العذاب .

ومعنى خبت النار أي ضعفت أو انطفأت . لأن استدامة العذاب يوطن الشيء على أنه معذب ، فحين تخف وطأة النار يظن المعذب أن العذاب سينتهى ولكن حين تشتعل النار ويزداد سعيرها تزداد وطأة العذاب عليه ويصاب بخيبة أمل فيكون العذاب أشد إيلامًا . لأن اليأس بعد الإطماع هو أشد ألوان النكاية ، مثل المجرم الذى يعذبه الحراس ثم يشتد عليه العطش فيطلب الماء فيأتوا له بكوب ماء فيفرح ولكن قبل أن يصل الماء إليه يسكبوه على الأرض ولا يعطونه نقطة واحدة فيكون ألمه أشد . وأيضًا حين تنضج الجلود يمتنع الإحساس بدليل أن اللّه تعالى فى الآية الكريمة علل تبديل الجلود لتدوم الإذاقة والإحساس عند المعذب قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] .

إذن . . لو نضجت الجلود ينتهى الإحساس بالعذاب ، فكان لابد من تبديلها بجلود غيرها .

ولذلك أخذ العلماء سنوات طويلة فى البحث عن مناطق الحس فى جسم الإنسان واختلفوا ، بعضهم قال فى المخ ، وبعضهم قال فى النخاع الشوكى إلى أن توصلوا إلى أن مناطق الحس فى الجلد ؛ بدليل أنك حين

تأخذ حقنة لعلاج مرض معين . تشعر بالألم عند إدخالها فى الجسم ولكن بمجرد أن تنفذ من الجلد ينتهى الألم .

فهذه الآية بينت لنا اكتشافاً علميا لم يعرفه الإنسان إلا فى القرن العشرين . فإذا نضجت الجلود امتنعت الإذاقة . فتجدد الجلود لتتجدد الإذاقة ، إذن الإحساس فى الجلد ، وهذه مسألة لم يكن يعرفها العرب عند نزول القرآن ولم تعرفها البشرية إلا فى القرن العشرين .

إذن . . فهذا لون من الإعجاز القرآنى لغير العرب .

obeikandl.com

وما أنت عليهم بجبار

السؤال : ما معنى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ ؟ [ق : ٤٥] .

الجواب : يعنى لم تبعث لتفرض دينك عليهم . . لماذا ؟ لأن الحق لو أراد دينًا مفروضًا من السماء ، فلن يستطيع إنسان أن يتخلى عنه . . بل كُنا خلقنا كالملائكة . . أو كسائر الخلق المسخر ، لا اختيار لنا ، مسخرين لمنهج اللَّه . لا نستطيع أن نفر منه .

لكن قدر اللَّه تعالى ذلك ؛ لأن المسألة أن من يصل إليه وهو مختار يصل عن طاعة ومحبوبية لله سبحانه وذلك أفضل وأعلى عند اللَّه[1] .

---

(١) ذكر ابن جرير الطبري عن قتادة ، قوله : ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ فإن اللَّه عز وجل كره الجبرية ، ونهى عنها ، وقدم فيها . وقال الفراء : وضع الجبار فى موضع السلطان من الجبرية ؛ وقال : أنشدني المفضل :

ويوم الحزن إذ حشدت معد ... وكان الناس إلا نحن دينا
عصينا عزمة الجبار حتى ... صبحنا الجوف ألفا معلمينا

ويروى : « الجوف » وقال : أراد بالجبار : المنذر لولايته .

قال : وقيل : إن معنى قوله : ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ لم تبعث لتجبرهم على الإسلام ، إنما بعثت مذكرا ، فذكر . وقال : العرب لا تقول فعال من أفعلت ، لا يقولون : هذا خراج ، يريدون : مخرج ، ولا يقولون : دخال ، يريدون : مدخل ، إنما يقولون : فعال ، من فعلت ؛ ويقولون : خراج ، من خرجت ؛ ودخال : من دخلت ؛ وقتال ، من قتلت . قال : وقد قالت العرب فى حرف واحد : دراك ، من أدركت ، وهو شاذ .

قال : فإن قلت الجبار على هذا المعنى ، فهو وجه . قال : وقد سمعت بعض العرب يقول : جبره على الأمر ، يريد : أجبره ، فالجبار من هذه اللغة صحيح ، يراد به : يقهرهم ويجبرهم .

وقوله : ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ يقول تعالى ذكره : فذكر يا محمد بهذا القرآن الذى أنزلته إليك : من يخاف الوعيد الذى أوعدته من عصاني وخالف أمرى .

openkandil.com

الرحمن علم القرآن

السؤال : يقول الله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ كيف يكون تعليم القرآن مثل خلق الإنسان ؟

الجواب : إذا قرأت فى سورة الرحمن قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ ﴾ لوجدت القرآن يعطينا قيم الحياة ، التى بدونها تصبح الدنيا كلها لا قيمة لها . لأن الدنيا امتحان أو اختبار لحياة قادمة فى الآخرة ، فإذا لم تأخذها بمهمتها فى أنها الطريق الذى يوصلك إلى الجنة أهدرت قيمتها تمامًا .

ولم تعد الدنيا تعطيك شيئًا إلا العذاب فى الآخرة .

وقد ربط الحق سبحانه وتعالى الرزق فى هذه الآية بالسماء فقال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . [البقرة : ٢٢] .

ليلفتنا إلى أن الرزق ، لا يأتى إلا من أعلى ، وضرب الله سبحانه وتعالى المثل بالماء لأنه رزق مباشر محسوس منا ، والماء ينزل من السماء فى أنقى صوره مقطرًا . كل ما يأتينا من السماء فيه علو . ينزل ليزيد حياة القيم ارتقاءً ، وهو عمل لو أراد البشر أن يقوموا به ما استطاعوا لأنه كان سيتكلف ملايين الجنيهات ، ليعطينا ماءً لا يكفى أسرة واحدة . ولكن الله سبحانه وتعالى أنزل من السماء ماءً فى أنقى صوره لينبت به الثمرات ، التى تضمن استمرار الحياة فى هذا الكون .

وبعد أن نفهم هذه النعم كلها والإعجاز الذى فيها ونستوعبها يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . [البقرة : ٢٢] .

﴿ أَندَادًا ﴾ جمع نِدّ ، والند هو النظير أو الشبيه . وأى عقل فيه ذرّة من فكر سوى يبتعد عن مثل هذا ، فلا يجعل للّه تعالى شبيهًا ولا نظيرًا ولا يُشَبِّهُ باللّه تعالى أحدًا . فاللّه واحد فى قدرته ، واحد فى قوته ، واحد فى خلقه ، واحد فى ذاته ، واحد فى صفاته .

ولا توجد مقارنة بين صفات الحق سبحانه وتعالى وصفات الخلق . واللّه خلق لكل منا عقلاً يفكر به ، لو عرضت هذه المسألة على العقل لرفضها تمامًا ، لأنها لا تتفق مع عقل أو منطق ، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

أى : تعرفون هذا جيدًا بعقولكم لأن طبيعة العقل ترفض هذا تمامًا .

فمن ذا الذى يستطيع أن يدعى أنه خلقكم والذين من قبلكم ؟! ومن ذا الذى يستطيع أن يدعى ولو كذبًا ، أنه هو الذى جعل الأرض فراشًا ، وجعل السماء سقفًا محفوظًا ، أو أنزل المطر وأنبت الزرع ؟ لا أحد .

إذن . . فأنتم تعلمون أن الفعل كله للّه وحده، وما دام لا يوجد معارض ولا يمكن أن يوجد . فالقضية محسومة للحق تبارك وتعالى .

والحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

لماذا اتخذ هؤلاء الناس للّه تعالى أندادًا ؟ لأنهم يريدون دينًا بلا منهج . يريدون أن يرضوا فطرة الإيمان التى خلقها اللّه فيهم . وفى الوقت نفسه يتبعون شهواتهم . عندما فكروا فى هذا وجدوا أن أحسن طريقة هي أن يختاروا إلهًا بلا منهج ، لا يأمرهم بشىء ، ولذلك كل دعوة منحرفة[1] تجد أنها تبيح ما حرم اللّه ، وتحل الإنسان من كل التكاليف الإيمانية كالصلاة والزكاة والجهاد وغيرها .

---

(١) مثل دعوة مسيلمة الكذاب قديماً ، والقاديانية والبهائية حديثاً ، حيث تجد التفلت من التكاليف وإغراق الأتباع فى الشهوات .

أما الذين آمنوا فإنهم يعرفون أن اللَّه سبحانه وتعالى إنما وضع منهجه لصالح الإنسان ، فاللَّه لا يستفيد من صلاتنا ولا من زكاتنا ؛ ولا من منهج الإيمان شيئًا ، ولكننا نحن الذين نستفيد من رحمة اللَّه . ومن نعم اللَّه ومن جنته فى الآخرة .

obeikandl.com

المشارق والمغارب

السؤال : **ما الفرق بين قوله تعالى : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ ، ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ ، ﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ ؟**

الجواب : قال اللَّه تعالى : ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [الشعراء : ٢٨] ولم يقل رب المشرق ورب المغرب . . أو للَّه المشرق ، أو للَّه المغرب . . حيث كان المعتقد وقت نزول القرآن أنهما جهتان مختلفتان تمامًا . . متقابلتان بالنسبة للعين المجردة . . ولكن قول اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ معناه أن الشروق والغروب يتم فى وقت واحد ، أى : إن الشمس تغرب على بلد فى الوقت نفسه تشرق فيه على بلد آخر .

تأتى بعد ذلك الآية الكريمة : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ فالكرة الأرضية فى عموميتها لها مشرقان ، مشرق تضىء منه الشمس نصف الكرة ومغرب ، ثم تستدير الكرة كلها ، فيأتى نصف الكرة الآخر فيكون له مشرق ومغرب .

إذن . . فآية ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ تعرض لنا بأن نصف الكرة يكون ظلامًا ليس مشرقا ولا مغربا ، والنصف الآخر يكون مضيئًا له مشرق ومغرب ، وعندما ينعكس الوضع يصبح هذا النصف له مشرق ومغرب ، وهذا النصف لا مشرق له ولا مغرب ، وهكذا فى عمومية الكرة الأرضية ، هناك مشرقان ومغربان .

openkandil.com

وصول الإنسان للقمر

السـؤال : **هل يتعارض وصول الإنسان إلى القمر بسلطان العلم ، وقول الحق سبحانه وتعالى :** ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ ۝٣٣ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٤ ﴾ [الرحمن] ؟

الجـواب : إن القمر لا يعدو أن يكون ضاحية من ضواحى الأرض .

وهناك عشرات الكواكب الأخرى البعيدة : الشعراء ، العبور ، المرأة المسلسلة ، وكل هذه الكواكب لم يصل إليها الإنسان .

وكان صعود الإنسان إلى القمر مدعاة لأن يقول البعض : إن السماء قد أصبحت مكانًا مرتادًا يصل فيه الإنسان إلى ما يريد بسلطان العلم تأكيدًا لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ ۝٣٣ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٤ ﴾ [الرحمن] .

لأصحاب مثل هذا القول نقول : أنتم لم تتأملوا الآية القرآنية كما يجب . إن اللّه لو أراد أن يقول إن اختراق السماء أمر يحتاج إلى سلطان العلم لقال لنا ذلك ولأوضحه . . ولكن الخالق أضاف بعد هاتين الآيتين آية تقول : ﴿ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ . [الرحمن : ٣٥] .

إن العقل قد يقول : إن الإنسان وصل إلى القمر بسلطان العلم ، ونحن لا نجادل فى ذلك ، إن العلم ممنوح للإنسان الذى أخذ بأسباب اللّه فتفكر فى كيفية الوصول إلى القمر . وهو ضاحية من ضواحى الأرض ، ولكن القمر بعيد عن السماء ولا سلطان لأحد على السماء ، إلا الخالق سبحانه فلقد حدد الخالق أن من يحاول الاقتراب من السماء فإن نيرانًا سوف تسلط عليه وشواظًا من نحاس فلا يكتب له الانتصار .

ولكن ما معنى تحدى الخالق للإنس والجن عندما قال : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ

﴿ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ .

وما معنى الاستثناء ؟ ﴿ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ .

إن المقصود بالاستثناء هو صعود سيد البشر محمد صلى اللَّه عليه وسلم حين قال فى حديثه عن الإسراء والمعراج : إنه صعد إلى السماء .

وحاشا للَّه أن يكون رسول اللَّه الصادق المصدوق كاذبًا .

إن قول الحق : ﴿ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ .

هو تأكيد على صعود رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم إلى السماوات السبع فى معجزة المعراج ، التى شاء لها اللَّه أن تحدث .

إننا عندما نتأمل وضع السماء بالنسبة للأرض ، نجد أن السماء - كما قلنا - هي كل ما علا الإنسان فأظله ، والأرض ممدودة أمام الإنسان ، قال عنها القرآن إنها كروية وأثبت العلم ذلك ، فلا هي مربعة ولا مستطيلة وتبدو للإنسان مسطحة أمامه لا نهاية لها ، وهكذا تكون السماء محيطة بالأرض .

وإذا افترضنا أن إنسانًا يقف فى نقطة ما على سطح الأرض فإن إنسانًا آخر تكون قدماه موجودة فى النقطة نفسها المقابلة للإنسان الواقف ، وكلاهما واقف فى مكانه ، وقدماه يمكن أن تصل بينهما بخط وهمى ، وكلاهما مستظل بسماء واحدة .

وفوق كل سماء سماء أخرى . وفوق السماء الثانية سماء ثالثة ، وفوق السماء الثالثة سماء رابعة ، ثم سماء خامسة ، ثم سماء سادسة ، ثم سماء سابعة ، ثم سدرة المنتهى .

ولنتذكر قول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : إنه قابل آدم فى السماء الأولى . . وفى السماء الثانية قابل ابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات اللَّه عليهما حيث أقلتهما السماء الثانية . . والسماء الثالثة أقلت يوسف عليه السلام . . ثم السماء الرابعة أقلت إدريس عليه السلام . . إلخ[1] .

---

(١) روى البخارى [٣٨٨٧] ومسلم [١٦٢/ ٢٥٩] عن أنس بن مالك أن رسول اللَّه صلى اللَّه=

هكذا نجد أن كل سماء تحولت إلى أرض ، إلى أن وصل رسول اللّه

= عليه وسلم قال : أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل . يضع حافره عند منتهى طرفه . قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس . قال : فربطته بالحلقة التى يربط به الأنبياء . قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين .
ثم خرجت . فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن . فاخترت اللبن . فقال جبريل صلى اللّه عليه وسلم : اخترت الفطرة .
ثم عرج بنا إلى السماء . فاستفتح جبريل فقيل : من أنت قال : جبريل . قيل : ومن معك قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه قال : قد بعث إليه . ففتح لنا . فإذا أنا بآدم . فرحب بي ودعا لي بخير .
ثم عرج بنا إلى السماء الثانية . فاستفتح جبريل عليه السلام. فقيل : من أنت قال : جبريل . قيل : ومن معك قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه قال : قد بعث إليه ففتح لنا . فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات اللّه عليهما . فرحبا ودعوا لي بخير .
ثم عرج بي إلى السماء الثالثة . فاستفتح جبريل . فقيل : من أنت . قال : جبريل . قيل : ومن معك قال : محمد صلى اللّه عليه وسلم . قيل : وقد بعث إليه قال : قد بعث إليه . ففتح لنا . فإذا أنا بيوسف صلى اللّه عليه وسلم . إذا هو قد أعطي شطر الحسن . فرحب ودعا لي بخير .
ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة . فاستفتح جبريل عليه السلام . قيل : من هذا . قال : جبريل . قيل : ومن معك قال : محمد . قال : وقد بعث إليه قال : قد بعث إليه .
ففتح لنا فإذا أنا بإدريس . فرحب ودعا لي بخير . قال اللّه عز وجل : ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٧] .
ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة . فاستفتح جبريل . قيل من هذا قال : جبريل . قيل : ومن معك قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه قال : وقد بعث إليه. ففتح لنا . فإذا أنا بهارون صلى اللّه عليه وسلم. فرحب ودعا لي بخير .
ثم عرج إلى السماء السادسة . فاستفتح جبريل عليه السلام . قيل : من هذا قال : جبريل . قيل : ومن معك قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بموسى صلى اللّه عليه وسلم . فرحب ودعا لي بخير .
ثم عرج إلى السماء السابعة . فاستفتح جبريل . فقيل : من هذا قال : جبريل . قيل : ومن معك قال : محمد . قيل . وقد بعث إليه قال : قد بعث إليه . ففتح لنا . فإذا أنا بإبراهيم صلى اللّه عليه وسلم مسندا ظهره إلى البيت المعمور . وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه .
ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى . وإن ورقها كآذان الفيلة . وإذا ثمرها كالقلال . قال فلما غشيها من أمر اللّه ما غشي تغيرت . فما أحد من خلق اللّه يستطيع أن ينعتها من حسنها . =

obeikandi.com

إلى سدرة المنتهى . وهكذا نفهم أن السماء ليست هى الكواكب التى جاء العلم باكتشافها ، إنما هناك سبع سماوات ومجموعة شمسية أخرى ، ويكفى أن نعرف أن فى المجرة الواحدة أكثر من مجموعة شمسية ، أى : أكثر من شمس وتوابعها فى أرض وأقمار ونجوم وكواكب .

وهكذا تصبح السماء بالنسبة للمعرفة الإنسانية غيبًا ، ولا تصدق فى الغيب إلا ما قاله الخالق الأعز الأكرم .

وكأن المحاولة من العقل البشرى ، أن يصل إلى اكتشاف السماء ، قد توصل إلى الاستحالة فى أن يصل إلى استكشاف السماء لأنها بعيدة بل مستحيلة .

إن النظر إلى محاولة البشر الصعود إلى القمر نجدها قد استغرقت سنوات من البحث العلمى . وبعد ذلك تجارب فاشلة ، ثم تجربة ناجحة ، ونعرف أن الرحلة استغرقت ثلاثة أيام وذلك من أجل تحقيق الوصول إلى مكان لا يبعد عن الأرض بأكثر من عدد قليل من الثوانى الضوئية .

ولو افترضنا أن الإنسان حاول الوصول إلى الشمس ، ولو افترضنا أنه اكتشف طرقًا للوقاية من إشعاعات الشمس واحتراقها ، فكم وقتًا سيأخذ ؟

= فأوحى اللّه إليّ ما أوحى . ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة .
فنزلت إلى موسى صلى اللّه عليه وسلم . فقال : ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة . قال : ارجع إلى ربك . فاسأله التخفيف . فإن أمتك لا يطيقون ذلك . فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم .
قال : فرجعت إلى ربى فقلت : يا رب ! خفف على أمتى . فحَطّ عنى خمسا .
فرجعت إلى موسى فقلت : حَطّ عنى خمسا . قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف .
قال : فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يا محمد ! إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة . لكل صلاة عشر .
فذلك خمسون صلاة . ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة . فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا . فإن عملها كتبت سيئة واحدة . قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى صلى اللّه عليه وسلم فأخبرته . فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه .

ثم كم من الوقت سيأخذ الإنسان ليصل للشعراء أو العبور ، أو للمرأة المسلسلة ؟

إن الإنسان سيحتاج إلى أجيال تتوالد فى مركبة الفضاء ليتعلم كل جيل مما سبقه العلم الذى يمكنه أن يواصل به الرحلة ، وكأن مركبة الفضاء لابد أن تحمل أقواتًا تكفى هذه الأجيال التى عليها أن تتوالد فى مركبة الفضاء .

وهذا أمر شبه مستحيل أن نقيسه أو نطبقه فى حياة إنسانية واحدة .

ولو كانت الأرض بلا مشاكل ، لهان أمر الإنفاق على هذه الرحلات إلى الفضاء ، ولو كانت استفادة البشرية من هذه الرحلات توازى هذه التكاليف الطائلة لهان الأمر ، لكن الكرة الأرضية فيها من مشاكل الجوع والجهل والمرض ما يحتاج إلى هذه الأموال . إن هذه الأموال الطائلة كان من الأجدى أن تنفق على ما يزيل عن الإنسانية جهلها وقلة إيمانها وضعف صحتها ، ولتقوية الأجيال الجديدة على الإحساس بأرق التعاطف الإنسانى الذى أمر به اللّه .

إن ملايين الأطفال فى حاجة إلى علم وطعام وعلاج ، فلماذا لا تتجه بعض الأموال المرصودة لأبحاث الفضاء لارتياد مجاهل إحساس إنسان هذا الزمان بالخواء ؟ إن عشرات الآلاف من المرضى فى حاجة إلى تطوير الأبحاث من أجل علاج أمراضهم ، ولكن الصراع اللاإيمانى فى هذا الزمان يفترض ضياع الأموال فيما لا يفيد البشر عاجلاً طمعًا فى سلطان آجل .

إن أزمات طاحنة فى الإسكان والرى ومستقبل قارات بأكملها تحتاج إلى بعض هذه الأموال لتنفق فى مجالات تفيد البشرية وتقلل من أوجاعها . . لكن الصراع اللاإيمانى فى هذا الزمان يسرق من الدنيا بهجتها ليستعرض سلطانًا زائلاً .

ألم يكن من الأجدى إيصال الخبز إلى الجوعى ، وإنارة الطرق بين البلاد وشق المصارف والترع ، وتطهير الأنهار ، وإيجاد أعمال مناسبة لأجيال جديدة ، ألم يكن ذلك أكثر نفعًا للبشرية من ضياع المال فى أبحاث تغذى روح استعباد الإنسان للإنسان ، هذا الاستعباد الذى يريق كرامة

المستعبد . . ويغرق المستغل فى إحساس بالخوف العارم .

إن على الإنسان المؤمن أن يعمل بعقله فى الأمر الذى يعود عليه بالنفع كنوع إنسانى ، وأن يقيم حركته من أجل أن يفيد كل من حوله ، ويجعل من الحياة الإنسانية انسجامًا فى الكون ، تلك هى المهمة التى خلقنا اللّه من أجلها

إن أبحاث الفضاء يمكن أن تتأجل بما لا يضر البشرية شيئًا .

إن العقل الإيمانى عندما ينظر إلى الحياة المعاصرة يجدها عجبًا . . إفساد فى الأرض ، ورغبة فى استكشاف عوالم وأكوان أخرى .

ولعل العقل المؤمن يعى أن التكليف الإيمانى يحاول أن يرفع بالبحث العلمى أوزار البشرية عن نفسها ، بدلاً من أن يتجه المال إلى مصارف قد تفيد آجلاً لكنها لا تمنع عن البشرية الضرر العاجل .

obeikandl.com

مواقع النجوم

السـؤال : لماذا جعل اللّه تعالى القسم بمواقع النجوم قسمًا عظيمًا ؟

الجـواب : لقد أقسم اللّه سبحانه بمواقع النجوم فى قوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الواقعة]

ولعل وقتًا يأتى يكشف اللّه فيه للبشرية أثر مواقع النجوم على حياة الخلق وذلك عندما تتهيأ النفوس لذلك وتقدر العقول على استيعابه .

إذن .. فكل شىء فى الكون له نظام : للشمس بروج ، وللقمر منازل ، وللنجوم مواقع . وكل أسرار الكون ونواميسه ونظامه فى هذه المخلوقات[١] . وقد أعطانا اللّه من أسرار الأهلّه أنها مواقيت للناس

---

(١) قال القرطبى قوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ مواقع النجوم مساقطها ومغاربها فى قول قتادة وغيره . عطاء بن أبى رباح : منازلها . الحسن : إنكدارها وانتثارها يوم القيامة . الضحاك : هى الأنواء التى كان أهل الجاهلية يقولون إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا . الماوردي: ويكون قوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾ مستعملا على حقيقته من نفى القسم . القشيرى : هو قسم ولله تعالى أن يقسم بما يريد وليس لنا أن نقسم بغير اللّه تعالى وصفاته القديمة .

قلت : يدل على هذا قراءة الحسن : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾ وما أقسم به سبحانه من مخلوقاته فى غير موضع من كتابه . وقال ابن عباس : المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوما أنزله اللّه تعالى من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكاتبين فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام عشرين سنة فهو ينزل على الأحداث من أمته حكاه الماوردى عن ابن عباس والسدى .

وقال أبو بكر الأنبارى : حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى حدثنا حجاج بن المنهال حدثنا همام عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن إلى سماء الدنيا جملة واحدة ثم نزل إلى الأرض نجوما وفرق بعد ذلك خمس آيات خمس آيات وأقل وأكثر فذلك قول اللّه تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

=

والحج . قال تبارك وتعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[1] .

= وحكى الفراء عن ابن مسعود أن مواقع النجوم هو محكم القرآن .
وقرأ حمزة والكسائي : ﴿ بِمَوْقِعِ ﴾ على التوحيد وهي قراءة عبدالله بن مسعود والنخعي والأعمش وابن محيصن ورويس عن يعقوب .
الباقون على الجمع فمن أفرد فلأنه اسم جنس يؤدي الواحد فيه عن الجمع ومن جمع فلاختلاف أنواعه .

(١) قال القرطبي قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾ هذا مما سأل عنه اليهود واعترضوا به على النبى صلى الله عليه وسلم فقال معاذ : يا رسول الله إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة فما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يستوي ويستدير ثم ينتقص حتى يعود كما كان فأنزل الله هذه الآية .
وقيل : إن سبب نزولها سؤال قوم من المسلمين النبى صلى الله عليه وسلم عن الهلال وما سبب محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس . قاله ابن عباس وقتادة والربيع وغيرهم . قوله تعالى : ﴿ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾ الأهلة جمع الهلال وجمع وهو واحد فى الحقيقة من حيث كونه هلالا واحدا فى شهر غير كونه هلالا فى آخر فإنما جمع أحواله من الأهلة . ويريد بالأهلة شهورها وقد يعبر بالهلال عن الشهر لحلوله فيه .

obeikandl.com